

مصمم آلات العود وصانعها نزيه غضبان صاحب التجارب للكشف عن إمكانيات آلة العود الكبيرة

إذا عمليات البحث مستمرة لاعطاء شيء جديد لأن آلة العود وصناعتها وتقنياتها ليست بالمسائل البسيطة. لقد ساهم منير بشير وتوفيق الباشا وغيرهما بإزال العود ضمن الأوركسترا وكذلك نصير شما، وقال غضبان ذلك رداً على الآراء التي تعتبر أن لا مكان لآلة العود بين أوركسترا، كما أنه ليس من مؤيدي فكرة إضافة اللاصق الكهربائي إلى العود بهدف تضخيم الصوت في القاعات الكبيرة، لأن تجربته تقول أن تركيبة العود لها خصوصيات دقيقة فاستخدام اللاصق الكهربائي يتطلب عازفاً ماهراً لكي يتفادى أي عيب قد ينشأ. كما أن اللاصق الكهربائي لا تنقل الصوت بصفاء وحزن.

وبالحديث عن مصنعه يؤكد غضبان على أنه يستقبل حوالي مائتي سائح كل سنة في رأس بعلبك وذلك من أجل مشاهدة هذه الصناعة التي تمر في مراحل مختلفة من صناعة القالب وحسابات النسب التي سيبني عليها للمحافظة على الدوزان، وبعدها تأتي الطاسة، وقبل كل ذلك المرحلة الأهم المتمثلة بخزن الخشب لخمس سنوات تقريباً قبل أن يصبح صالحاً للتصنيع. وهذه الأمور مجتمعة تحدد ثمن العود لاحقاً. كما أن انتقاء الأخشاب ودمج الألوان مسألة تتطلب ذوقاً

تعود إلى القرن الحادي عشر وفيها تحديد لقياسات الوتر والآلة ونحن ما زلنا نعتمد هذه القياسات حتى يومنا هذا، أي منذ العصر العباسي. وبالمقارنة هناك في العالم الغربي آلاف الكتب عن آلات الغيتار والكمآن مثلاً والمبادئ الخاصة بها والمركزة على علم السمعيات والفيزياء والجمال وعلم الموسيقى.

ويسعى نزيه غضبان من وراء اختباراته وراء إبراز واكتشاف الإمكانيات الكبيرة في آلة العود وبالتالي فإن إجراء التجارب تعتبر مسألة ضرورية وخصوصاً من ناحية العمل على هذه الآلة من الناحية التقنية.

كما انتهى غضبان من تحضير كتاب خاص عن آلة العود وتشعباتها (انظر الكادر).

ويعطي غضبان مثلاً على اكتشاف إمكانيات جديدة في العود لاستخدامها من أجل تطور هذه الآلة، من الموسيقى مرسل خليفة الذي كتب مع «جدل» وغيره موسيقى لأربع آلات، والسؤال الذي يطرح نفسه، هو أين هذه الآلات الشرقية، وهل نكتب موسيقى لآلات غير موجودة. إذاً هناك ضرورة لإيجاد رؤية جديدة لآلة العود، أي دراسة هذه الآلة من ناحية إمكانياتها وتطويرها، وهذه مسألة بحاجة إلى دعم.

وبالتالي يعتبر غضبان أن المجال الذي يدور فيه شربل روحانا كعازف وموسيقي ليس بالضيق أو المحصور والمحدود، وذلك نتيجة لتداخل الإلحان الشرقية والغربية معاً، وهو يدرك مدى أهمية الموسيقى الغربية الراقية فيستفيد منها ليعزز أعماله الشرقية.

وبالنسبة إلى الناحية التقنية يشدد غضبان على أن آلة العود تشهد مخاضاً من ناحية الدوزان ووسائل العزف والمنهج الدراسي المتبع ومقاييس الآلة وتصنيعها بشكل عام. ويؤكد على أنه هناك مبادئ عامة متبعة، لكن بعض النتائج تكون تجارية أكثر مما هي فنية. وكلام غضبان ناتج عن خبرة طويلة فقد رافق جميع عازفي العود في لبنان وقسمًا كبيراً من العازفين في العالم العربي ابتداءً من جورج روفائيل وصولاً إلى مرسل خليفة وشربل روحانا.

ويشدد غضبان على واقع أنه لا توجد مبادئ لصناعة آلة العود والآلات الشرقية عموماً في الشرق والعالم العربي، فهذه مسألة غير موجودة، لأنه وعلى الرغم من غنى الموسيقى العربية فإن المكتبة الموسيقية العربية تفتقد إلى وجود كتب خاصة عن صناعة الآلات، علماً أنه هناك ثلاثمائة مؤلف موسيقي عربي وذلك باعتراف الغرب. وقسم من هذه المؤلفات

درس نزيه غضبان الموسيقى والعزف على العود في الكونسرفتوار وهو عازف عود متمكن منذ السبعينات، ركز جهوده على صناعة آلة العود حيث يملك معملاً خاصاً لذلك في قريته رأس بعلبك. ومن أحدث تجاربه صنع آلة «العود باص» وهي باعترافه تجربة تحتاج إلى عمل وتطوير، بعد الحفلات التي قدمها رباعي العود بقيادة شربل روحانا خلال شهر أيار الماضي في بيروت وفرنسا.

ويشير غضبان إلى هذه التجربة الجديدة من حيث الكتابة الموسيقية التي لم تظهر كل آلة من آلات العود الأربع لوحدها، لكنه يعتبر أن «العود - باص» لعب دوره في تطاير الموسيقى فشكل الغلاف أو الأطار لها.

وبالرغم من موافقته على أن الإلحان الشرقية التي تضمنها برنامج رباعي العود جاءت متفوقة على الإلحان الغربية، وبالتالي كان اختيارها موفقاً أكثر وعلى سبيل المثال «نمرين بياتي»، فإنه لا يوافق على أن مرد ذلك يعود لخصوصية العود كألة شرقية، لأنه بإمكان الموسيقي الجيد أن يعزف الموسيقى الغربية على العود، والمسألة مرتبطة بإمكاناته التقنية وحسه الموسيقي.

كلمة نزيه غضبان حول رباعي العود

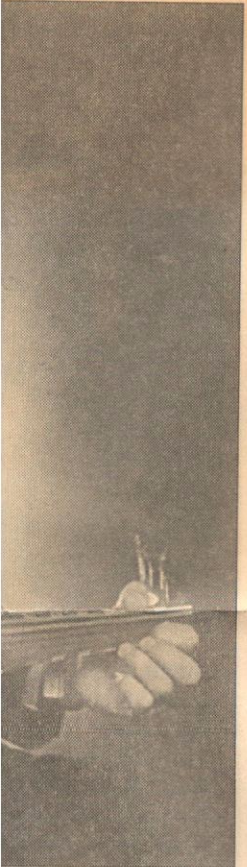
نحن اليوم نشهد على النتيجة المباشرة دراسة نظرية حول صناعة آلة العود، وهي النتيجة الفعلية لعمل مضمّن وشاق دام عدة سنوات من التجارب وتبادل الخبرات شارك فيه الباحث والمؤلف والعازف والصانع بهدف جعل لبنان مركزاً متميزاً وبهدف إعادة بناء آلتنا العربية لتزداد على أساسها إمكانيات التعبير الموسيقي.

إن هذه الآلات ليست بديلاً عن أية آلة من الآلات الأخرى ولا تلغي أية واحدة منها بل هي نماذج جديدة في بحر الآلات التنوع وهي تجربة أولى وفريدة لكشف الإمكانيات الصوتية الكبيرة التي تختزنها آلة العود بشكلها المميز بين سائر الآلات الشرقية والغربية.

إن هذه الآلات ما تزال قيد التجربة وقياساتها ليست نهائية ربما تخضع لبعض التعديلات الطفيفة بعد حوضها التجربة العملية في تنفيذ التأليف الموسيقية المتنوعة.

أشكر الأستاذ شربل روحانا الذي رافقني طيلة مدة العمل وكان المحرك الأساسي لتنفيذ المشروع، أشكر إدارة المعهد الوطني العالي للموسيقى بشخص رئيسه د. وليد علمية الذي أبدى ملاحظاته النيرة ورأيه السيد واهتمامه وتشجيعه ودعمه من أجل استكمال هذا المشروع ليرى النور.

غضبان
و«رباعي
العود»



نزيه غضبان

فنياً عالياً، فألة العود تتألف من ٦٠ قطعة ولكل مكانها، فإذا اختل مركز قد يختل العود بكامله، فالصوت نتيجة تكامل بين جميع الأجزاء.

والاجزاء.

